

معيار لهداية العيابين ومعرفة الخطأ*

"إن معظم العيابين المستعجلين، وبالأخص الشيخ محمد حسين البطالوي، الذين لا يتصفحون كتبنا العربية إلا بحثاً عن الأخطاء فيها، يُعدّون - بسبب ظلمة التعصب فيهم - سهو الناسخ أيضاً ضمن قائمة الأغلاط. ولكن الحق أنه لا يمكن أن يُعزى إلينا من تلك الأغلاط الصرفية والنحوية إلا ما لم يرد صحيحه في موضع آخر من كتبنا. أما إذا ورد في مكان ما لفظ أو تعبير خطأً على طريق الصدفة بينما يكون قد ورد بصورته الصحيحة في عشرات الأماكن الأخرى.. فلا مناص لهم إلا أن يعزوا ذلك الخطأ إلى سهو الناسخ بدلاً من أن يعتبروه غلطاً منا، إن كان فيهم شيء من الإيمان والإنصاف. ولو أنهم أخذوا بعين الاعتبار العجلة التي أَلَّفنا بها هذه الكتب لاعترفوا باقترافهم ظلماً عظيماً، ولعدّوها تأليفات خارقة للعادة.

والحق أن القرآن الكريم وحده منزّه عن السهو والخطأ، وأما البشر فلم يسلم كلام أحد منهم من هذا العيب. فإن السيد البطالوي نفسه يعترف بأن الناس استخرجوا أغلاطاً حتى من شعر امرئ القيس وكلام الحريري. فهل يمكن لمن عثر صدفةً على خطأً للحريري أو امرئ القيس أن يُعدّ بمكائنتهما؟ كلا. والواقع أن الإتيان بالدقائق والمعارف صعب، أما الطعن والقدح فيمكن أن يقوم به شخص ذو كفاءة عادية بل يتسنى ذلك لشخص غبي محض أيضاً.

* هذه ترجمة النص الوارد باللغة الأردنية في الصفحة التالية من صفحة الغلاف.

المدة القصوى المحددة من قبلنا لتأليف كتاب بإزاء كتابينا "حماسة
 البشرية" و"نور الحق" كانت إلى نهاية يونيو ١٨٩٤م، فانقضت تلك
 المدة دون أن يبعث أحد من المشايخ طلبه للحصول على الجائزة منا على
 أساس تأليف كتاب إزاء كتابي، والآن فقد فات الأوان. لا شك أنهم
 سعوا للطعن والقدح شأن الأغبياء والحساد، حتى إن بعض السذج منهم
 قد أتوا ببضعة الأخطاء التي حصلت من سهو الناسخ أو بتغافل مني عن
 طريق الصدفة، طالبين الجائزة مني. غير أنهم ما فتحوا أعينهم قط ليروا
 أن وعد الجائزة على كل خطأ كان مشروطاً بأن يكتب مثل هذا
 الشخص أولاً كتاباً بإزاء كتابي؛ وإلا فإن الطاعنين الحاسدين الذين ليس
 في جمعتهم شيء من الثروة العلمية، يبلغ عددهم في الدنيا الآلاف بل
 مئات الآلاف، فهل هذا يعني أن نقدم الجائزة لجميع هؤلاء؟ كلا، بل
 يجب أن يكتبوا أولاً كتاباً بإزاء كتابنا هذا "سر الخيانة" مثلاً، ثم إذا
 كان كتابهم مبرراً من الأخطاء وكان يضاهي كتابنا في البلاغة
 والفصاحة، فيمكنهم أن ينالوا منا على كل خطأ يعثرون عليه روبيتين
 بالإضافة إلى الجائزة التي وعدنا بها على تأليف كتاب مماثل لكتابنا. وإلا
 فإن الطعن بدون ذلك بعيد عن الحياء. والسلام على من اتبع الهدى.

العبد المتواضع

غلام أحمد